المحاضرة السادسة :الفرق بين الزمن الطبيعي والزمن الإنساني1

الزمن الطبيعي التكراري والعقيم والزمن الإنساني المبدع والخلاق

تمهيد

كما هو معروف منذ الأزل أن الإنسان قد عرّف عند الفلاسفة بعدد كبير من الصفات المميزة له ، والتي تجعله يختلف عن غيره ، فقد عرف بأنه الكائن المزود بالكلام والفكر ، و أنه الكائن الذي يمنح المجتمع الذي يعيش فيه شكل مدينة مزودة بقوانين ، وأنه الكائن الذي ينتج أدوات ، والذي يكسب رزقه بتخطيط جمعي ، فهذه التعريفات تنقل لنا خاصية من خصائص الإنسان ، من دون أن نغفل الخاصية الأساسية التي تتمثل في أن هذا الإنسان هو جوهر متغير باستمرار فهو في حركة وتغير وتطور عبر الزمن .

1 ـ تعريف الزمن

إن الحديث عن الزمن يعني، عملية تقدم الأحداث بشكلٍ مستمر وإلى أجل غير مسمى بدءً من الماضي مروراً بالحاضر وحتى المستقبل، وهي عملية لا رجعة فيها، متعذر إلغاؤها . ربما يكون مصطلح الزمن الأعصى على التعريف، فالزمن أمر نحس به أو نقيسه أو نقوم بتخمينه، وهو يختلف باختلاف وجهة النظر التي ننظر بها بحيث يمكننا الحديث عن زمن نفسي أو زمن فيزيائي أو زمن تخيلي. لكن يمكننا حصر الزمن مبدئيا بالإحساس الجماعي للناس كافة على توالي الأحداث بشكل لا رجوع فيه،[1] هذا التوالي الذي يتجلى أكثر ما يتجلى
بتوالي الليل والنهار وتعاقب الأيام فرض على الناس تخيل الزمن بشكل نهر جار باتجاه محدد لا عودة فيه. فالجماعة إذن هي المركز الأول المنشئ لمعنى الزمن، فالزمن لا ينفصل عن دورة النشاطات الاجتماعية الرئيسية، والفصول الطبيعية نفسها تحولت بفعل الجماعة، إلى مواسم وأعياد ومناسبات، وهي لازمة للحياة الاجتماعية والاقتصادية.

ومع الأيام لاحظ البشر أن العديد من الظواهر الفيزيائية، بدءا من حركات الشمس إلى تساقط الرمل من وعاء زجاجي، إلى اهتزاز نوّاس بسيط، تأخذ فترات زمنية متساوية حسب تقديرهم، مما دفعهم لتطوير ميقاتيات وأدوات لقياس الزمن، باستخدام هذه الظواهر فأوجدوا المزولة

[1] ـ عبد الحميد زايد: **مفهوم الزمن ودلالاته في الرواية العربية المعاصرة**، الدار العربية للكتاب، تونس، 1988، ص 19.

الشمسية ثم الساعة الرملية ثم ساعة النواس أو البندول. وفي كل هذه الأزمان تم اعتبار الزمن على أنه أحد المطلقات فالفترات الزمنية الفاصلة بين حدثين مختلفين ثابت بالنسبة لكافة المراقبين، وهذا أمر حافظ عليه نيوتن باعتباره الزمن شيئا مطلقا كونيا فتغيرات الزمن ثابتة في جميع أنحاء الكون، وهو يجري أبدا كما هو بالنسبة لجملة فيزيائية تتحرك بانتظام أو بتسارع، تتحرك حركة دائرية أو مستقيمة.

ما زال هذا المفهوم للزمن منتشرا بين الناس كونه يطابق كثيرا إحساسهم به إلا أن الفيزياء الحديثة قامت بإنزال الزمن عن عرشه وإلغاء صفة الإطلاق التي اتصف بها عبر السنين، فنظرية النسبية الخاصة اعتبرته أحد مكونات المسرح الكوني التي تجري فيه الأحداث وبالتالي أصبحت لكل جملة فيزيائية زمنها الخاص بها الذي يختلف عن زمن جملة فيزيائية أخرى.

2 ـ الزمن في الفلسفة

ينقسم الفلاسفة إلى رأيين متضادين بخصوص الزمن. أحد الرأيين هو جزء من التركيب الأساسي للفضاء الكوني أو بُعد مستقل عن الأحداث والذي تحدث فيه الأحداث متتالية. كان إسحاق نيوتن أحد مناصري هذا الرأي الواقعي، ومن هنا أصبح يُشار إلي ذلك الرأي باسم الزمن النيوتوني. الرأي المقابل هو أن الزمن لا يشير إلى أي نوع من "الاحتواء" والذي "تتحرك" الأشياء والأحداث خلاله، ولكنه جزء من بناء عقلي أساسي (مع المكان والعدد) والذي تحدث فيه أفعال وأحداث البشر. يرى هذا الرأي الثاني (مثل **غوتفريد ليبينتز** (1646-1716) Gottfried Wilhelm Leibnizوإيمانويل كانط، أن الزمن ليس بحدث أو شيء، وبالتالي فهو غير قابل للقياس في حد ذاته كما لا يمكن السفر عبره.

علاوة على ذلك، ربما يكون هناك مكون ذاتي للزمن ولكن سواء لا تزال إمكانية الإحساس بالزمن كشعور أو كتقييم مسألة تخضع للكثير من الجدل. تصف نصوص فيدا ، أقدم النصوص التي تتحدث عن الفلسفة الهندية والفلسفة الهندوسية والتي ترجع إلى الألفية الثانية قبل الميلاد، علم الفلك الهندي القديم، وفيها يمر الكون بسلسلة متكررة من الخلق والتدمير والبعث حيث تستغرق كل دورة 4,320 مليون سنة. كتب الفلاسفة اليونانيون القدماء مثل **بارمينيدس** و**هرقليطس**) مقالات عن طبيعة الزمن. عرّف أفلاطون (في طيماوس الزمن

بأنه فترة حركة الأجسام السماوية. عرّف أرسطو (في الكتاب الرابع من السماع الطبيعي) الـزمن بأنه عدد من الحركات بالنسبة إلى ما قبل وما بعد .[2]

في الكتاب الحـادي عشـر من اعترافـات القـديس أوغسـطين، يتأمـل أوغسـطين في طبيعـة الـزمن متسائلا: "إذا ما هو الزمن؟ إن لم يسـألني أحـد، فانـا أعـرف أننـي أتمـنى أن أفسـر ذلـك في حـال سألني أحدهم" يشرع أوغسطين بعد ذلك في تعريف الـزمن بمـا لا يعتـبر منـه بـدلا من مـا يعتـبر منه، وهو أسلوب مشـابه للأسـلوب الـذي اتبعـه في التعريفـات السـالبة. إلا أن القـديس أوغسـطين انتهى بأن أطلق على الزمن بأنه "تمدد" للعقل والـذي من خلالـه نسـتوعب الماضـي في ذاكرتنـا، والحاضر في انتباهنا، والمستقبل في توقعنا، كل ذلك في نفس الوقت.

تتشارك الأديان الإبراهيمية في هذا المعتقد حيث تعتقد جميعها أن الزمن الكوني بدأ مع الخلق.

آمن **إسحق نيوتن** بالمكـان المطلـق والزمـان المطلـق، بينمـا آمن **ليبنـتز** بـأن الزمـان والمكـان نسبيين. برزت الاختلافـات بين تفسـيرات نيـوتن و ليبنـتز في مراسـلات ليبنـتز كلارك الشـهيرة. حيث يرفض ليبنتز أن يكون الزمن مفهوما مجردا مستقلا عن الأشياء، فالزمن هو نظام التـوالي، أي أنه لا يقوم إلا في النسب الموجودة بين الأشياء تتوالى وتتعاقب، أي أن الـزمن تـابع للأشـياء، وليس سابق عليها.[3] فنحن لا ندرك أبدا زمانا خاليا خلوا وتواليـا للحظـات متجانسـة، وإنمـا نـدرك سلسلة من الأحداث العينية، التي تتوالى دون انقطاع.[4]

وصف **إيمانويل كانط)** Immanuel Kant 1724 - 1804) ـ في نقد العقل المحض- الزمن بأنه فكرة بديهية تسمح لنا (مع الفكرة البديهية الأخرى : المكان) باستيعاب الأدلة التجريبية. يعتقد كانـط أنـه لا المكـان ولا الزمـان يمكن تصـوره كحركـة جوهريـة ، ولكن كلا منهمـا إطـار عقلي نظامي والذي ينشئ أي تجربة عقلية أو ملاحظة تجريبيـة. رأى كانـط الـزمن كجـزء أساسـي من الإطار العقلي للبنية المجردة – مع المكان والعدد ـ والذي نستخدمه في تسلسل الأحداث ، وجعلها كمّية خلال مدتها ، ومقارنة حركـة الأشـياء. فـالزمن الكـانطي هـو الشـرط الصـوري القبلي لكـل

---

[2] - Jean Voilquin **: les penseurs Grecs avant Socrate , de Thalès de Milet à prodicos**, traduction et notes, Garnier Flammarion, Paris, 1964, P77.

[3] ـ عبد الرحمان بدوي: **موسوعة الفلسفة**، ج1 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1984 ص 557.

[4] ـ عبد الرحمان بدوي: **موسوعة الفلسفة**، ج2 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1984، ص 392.

الظواهر بوجه عام، حيث « ينطلق كانط من مسلمة أولى هي أن الزمان لا دافع له خارج الـذات، وهو نفس التعريف الذي أخذه هيدجر فيما بعـد ليقـول من خلالـه أن تـزمن الزمـان هـو المؤسـس للذات المفكرة».[5]

[5] ـ عبد الرزاق قسوم: **مفهوم الزمان في فلسفة أبي الوليد ابن رشد**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص 209.